**صورة القدس في أدب الرحالة الإنجليز خلال القرن التاسع عشر**

**رحلة لورنس أوليفانت Laurence Oliphant (1829-1888م)**

**والموسومة بـ "أرض جلعاد: رحلات في لبنان وسورية والأردن وفلسطين**

**"أنموذجاً"**

**د. عدنان ملحم**

**"مساعد رئيس الجامعة للشؤون المجتمعية"**

**أستاذ مشارك/ قسم التاريخ**

**جامعة النجاح الوطنية**

**الملخص**

إهتم الرحالة الإنجليز خلال القرن التاسع عشر بزيارة مدينة القدس، والكتابة عنها، لأسباب دينية، واقتصادية، وعلمية، وسياسية. اختارت الدراسة عنواناً محدداً هو: صورة القدس في أدب الرحالة الانجليز خلال القرن التاسع عشر، رحلة لورنس أوليفانت (ت 1829-1888م) Laurence Oliphant. والمعنونة بـ "أرض جلعاد: رحلات في لبنان وسورية والاردن وفلسطين، أنموذجاً.

والرحالة المذكور: صحفي، ومفكر، وسياسي، ودبلوماسي، وبريطاني، مسيحي الديانة، صهيوني الانتماء. ولد في مدينة كيب تاون في مستعمرة جنوب أفريقيا عام 1829. مات ودفن في تويكنهام بلندن عام 1880م.

وقد طبعت رحلته موضع الدراسة عام 1880م، وترجمت إلى العبرية عام 1886م، ووزع منها 12000 نسخة، وهو رقم كبير قياساً مع المنشورات العبرية آنذاك.

قدم لورنس اوليفانت في رحلته مشروعاً صهيونياً رائداً من أجل استيطان يهود العالم في القدس خاصة وفلسطين عامة، حلاً نهائياً لتشتتهم التاريخي في أصقاع الأرض، ووضع حدٍّ لآلامهم ومعاناتهم الدائمة، وتتويجاً لعلاقاتهم الدينية التوراتية بالأرض المقدسة. واقام لذلك علاقات وثيقة مع صناع القرار في تركيا، وبريطانيا، وفرنسا، من أجل تحقيق مشروعه السياسي المهم، وقد اعتبر مصدراً رئيساً لخطط الحركة الصهيونية العالمية تجاه فلسطين فيما بعد. وقد وصفت الأدبيات الصهيونية مشروعه الاستيطاني اليهودي "المشروع الصهيوني الأول من حيث الزمان"

وأكد الرّحالة حاجة مدينة القدس إلى الإصلاح من النواحي والمجالات جميعها، وفي جميع المجالات، ووصف سلطة الحكومة التركية فيها "بمنتهى الضعف والحضيض" مقابل هيمنة الدول الأجنبية التي تتسم بالأوج والقمة.

ودعا إلى إعادة تنظيم مستعمرة القدس على أسس تجارية، وليست دينية فحسب، وحث دول العالم وشعوبها على تعزيز استيطان الشعب اليهودي في المدينة المقدسة بوصفهم رواد التقدم الزراعي والاقتصادي.

وهاجم بحدّة دور السكان العرب في مدينة القدس مسيحيين ومسلمين، وعدّهم حجر عثرة أمام تقدّمها ورفعتها وتطورها.

ورصد بدقة خلال إقامته في مدينة القدس في نهاية شهر نيسان وبداية شهر أيار من عام 1880، الاحتفالات الدينية التي أقامها المسيحيون واليهود بمناسبة عيد الفصح المجيد، والمسلمون بذكرى موسم النبي موسى. وقدم وصفاً تحليلياً لعلاقة كل من هذه الأطراف مع الجغرافيا والتاريخ، والحقوق والواجبات، مبدياً إعجابه الكبير بالرؤية التوراتية اليهودية للمدينة المقّدسة.

----

**The Image of Jerusalem in English Travellers' Literature Duringthe 19th Century**

**Laurence Oliphant Journey (1829-1888 AC)**

**Titled: "The land of Gilead: Excursions in Lebanon, Syria, Jordan and Palestine”**

**“Model”**

**Dr. Adnan Melhem**

**President’s Assistant for Social Affairs**

**Associate Professor/ History Department**

**An-Najah National University**

During the 19th century, English travelers had a great interest in travelling to Jerusalem and writing about it for religious, economic, scientific and political reasons. The study calls this interest: ***The Image of Jerusalem in English Travellers' Literature during the 19thCentury,*** Laurence Oliphant Journey (1829-1888 AC), titled: ***"The land of Gilead: Excursions in Lebanon, Syria, Jordan and Palestine”, “Model”***.

The aforementioned traveler is a British journalist, intellect, politician, diplomat and Christian mystic with Zionist affiliation. He was born in the City of Cape Town, a British colony in South Africa in 1829, and later died and was buried in Twickenham in London in 1880.

In 1880, his journey was published as astudy and translated to Hebrew in 1886 where it was issued in 12000 copies; which is a new record for Hebrew publications at the time.

In his journey, Laurence Oliphant presented a pioneering Zionist project where the Jews of the world will settle in Jerusalem in specific, and in Palestine in general. This resolution came as an ultimate conclusion for their Diaspora and perpetual suffering and as an enthronement for their biblical religious ties with the Holy Land. Therefore, he built strong relations with stakeholders in Turkey, Britain and France to implement his political project, which was considered a major resource of the International Zionist Movement plans in the future. Zionism literature describes his Zionism’s colonial project as: ***“the Initial Zionist Project”.***

He emphasized the necessity of reforming affairs in Jerusalem on different levels. In addition, he described the Turkish government’s authority as the weakest in comparison with America’s and the European countries’, which were dominating.

He encouraged reconstructing the system of “Jerusalem colony” to be built on commercial and religious bases. He further urged world countries and peoples to support Jews settlement in the Holy Land as they were pioneers in agricultural and economic development.

He sharply attacked the role of the Arab population in Jerusalem, Christians and Muslims for standing against the progress of the Holy Land.

In his journey, at the end of April and the beginning of May 1880, Laurence Oliphant carefully studied all the religious ceremonies hosted in Jerusalem by Christians and Jews in Easter and those hosted by Muslims on the occasion of Prophet Moses’ birth. He also offered an analytical description of the relationship of theses religions with geography, history along with rights and duties. He further expressed his admiration for the biblical-Jewish vision of the Holy Land.

**البحث**

1- شهدت فكرة الاستيطان الصهيوني في فلسطين خلال القرن التاسع عشر انتقالاً حقيقياً من الإطار النظري إلى العملي، مستفيدة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والقومية التي كانت تمر بها أوروبا بخاصة، والجاليات اليهودية القاطنة في أقطارها بعامة (1).

وشكل الخطاب الديني اليهودي الاسترجاعي (الغيبي) حاضنة لهذا التطور. وطرحت الحركة الصهيونية العالمية نفسها جسماً قومياً يسعى لإخراج اليهود من أزمتهم المتفاقمة داخل المجتمعات الأوروبية. ويعمل على إقامة كيان خاص بهم على أرض محددة في فلسطين، وبإرادة شعب يهودي يمتلك السيادة والحقيقة (2).

واعتمدت الحركة الصهيونية في ممارستها العملية من أجل تحقيق أهدافها أساليب سياسية ودبلوماسية مختلفة، مستغلة التناقضات المتعددة بين القوى السياسية الدولية. وعقدت لذلك المؤتمرات وأسست الجمعيات، وأعدت الخطط والبرامج السياسية والاقتصادية والفكرية المختلفة (3).

وشهدت فلسطين خلال القرن 19 استقرار 85 ألف مهاجر يهودي، قدم معظمهم من أوروبا الشرقية وروسيا، سيطروا على أكثر من 420.600 ألف دونم بطرق شتى، ومن مصادر إقطاعية عربية استثمارية (4).

ولاقت الجهود الصهيونية الاستيطانية في فلسطين خلال هذه الفترة معارضة رسمية خجولة بفعل الترّهل الإداري والسياسي، والعسكري، والاقتصادي للدولة العثمانية. وشعبية غير منظمة نتيجة لغياب الرؤى الوطنية الشاملة (5).

وفي أواخر القرن التاسع عشر بلغ عدد سكان المنطقة التي عرفت فيما بعد بفلسطين تحت الانتداب إلى 640 ألف شخص. وقسمت إلى ثلاث وحدات إدارية هي:- سنجق القدس، الذي كان يتألف من نصف أراضي البلاد في الجنوب، وتم حكمه من العاصمة العثمانية الإستانة مباشرة نظراً لأهميته الدينية. وسنجقا نابلس وعكا في الشمال ، وألحقا بولاية بيروت (6).

وازدادت خلال هذه الفترة قوة النفوذ الأوروبي في فلسطين من خلال افتتاح القنصليات التابعة للدول الأوروبية المختلفة، وقد شرعت في إقامة المشاريع الاقتصادية والتعليمية والدينية والاقتصادية المختلفة. وأقيم نظام الامتيازات الأجنبية الذي أعطى الأجانب والزائرين والمقيمين ، وحتى من اكتسب الجنسية الأجنبية من الموطنين أنواعاً من الحصانة تجاه السلطات الإدارية والقضائية العثمانية (7). وهي تطورات استفاد منها اليهود في مشروعهم من اجل تعزيز وجودهم في فلسطين. في الوقت الذي أصبحت خطط اقتسام أراضي الامبراطورية العثمانية بين الدول الأوروبية تأخذ مسارها الواضح والصريح (8).

2- اهتم الرحالة الإنجليز خلال القرن التاسع عشر بزيارة مدينة القدس والكتابة عنها (9). وظل الدافع الديني في مقدمة الأسباب الكامنة وراء رحلاتهم إلى المدينة المقدسة، سواءاً كانت بهدف العبادة (الحج)، أو زيارة المواقع الدينية أو محاكاة مسيرة المسيح عليه السلام في المدينة، أو الاطلاع على واقع أصحاب الديانتين المسيحية واليهودية في القدس في جميع المجالات في ظل أنظمة الحكم التي سيطرت على المكان والزمان، أو الارض والإنسان (10).

ولا يمكن إغفال الدافع الاقتصادي وراء هذه الرحلات، فالرحالة اهتموا بالبيع والشراء للمقتنيات التجارية التي اشتهرت بها المدينة مثل:- (الصلبان، والمسابح، والصابون، والحلويات، والمصنوعات الذهبية والفضية والنحاسية والخشبية المرتبطة بالمعتقدات والأمكنة والشخوص المسيحية واليهودية. وكذلك العطور والرسومات والمطّرزات (11).

وظل البعد العلمي المرتبط بالتعرف على جغرافية المدينة المقدسة وتفاصيلها وتاريخها، دافعاً آخر يجب الاعتراف به أيضاً (12). إلا أنني أعتقد أن الأهم في دراسة دوافع الرحالة الإنجليز خلال القرن التاسع عشر إلى القدس، هو الدافع السياسي والاستعماري الكامن في دعم فكرة استيطان اليهود فيها بخاصة، وفلسطين بعامة (13).

3- اختارت الدراسة عنواناً محدداً لها، وهو صورة القدس في أدب الرحالة الانجليز خلال القرن التاسع عشر. رحلة لورنس اوليفانت Laurence OLiphant (توفي عام 1888م) والمعنونة بـ (أرض جلعاد:- رحلات في لبنان وسورية والأردن وفلسطين) أنموذجاً.

ويمكن توضيح الأسباب الكامنة وراء هذا الاختيار في الأمور الآتية:-

**أولاً:-**  لورنس أوليفانت، سياسي، ومفكر، ورحالة، وصوفي، وبريطاني الجنسية، مسيحي الديانة، صهيوني الانتماء، وعضو في البرلمان الإنجليزي في دورتيه أل 19 و 20. عاش في الفترة ما بين (1829-1888م) (14).

**ثانياً:-** أقام علاقات وثيقة مع صناع القرار في الحكومة البريطانية‘ ومع جموع الساسة والمفكرين الصهاينة في أنحاء أوروبا، ومع أركان الحكم في الحكومة العثمانية، على مختلف المواقع والمستويات (15).

**ثالثاً:-** يعد من المهندسين الفعليين الأوائل لمشروع الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وواضع أسس تفاصيله وخطواته، وقد اعتمد الساسة البريطانيون الرسميون في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، على أفكاره ورؤيته تجاه هذه القضية. ووصفت الأدبيات الصهيونية مشروعه بـ "المشروع الصهيوني الأول من حيث الزمان" (16). واعتبر وعد بلفور الذي صدر عام 1917 صدى ونسخة معدلة عنه (17).

آمن بالحركة الصهيونية ودعا لدعمها بكل الوسائل والغايات، وعمل على تخليصها من الشعارات الدينية وأعطاها وجهاً علمانياً بحيث أصبح يمكن تداولها بين أكبر عدد من المسيحيين واليهود واللادينيين (18).

وانبثقت أطروحاته السياسية من إيمانه المطلق بالرواية الدينية التوراتية التي تربط تاريخ وحاضر ومستقبل الشعب اليهودي بفلسطين فقط (19). وقد تبنى الزعيم الصهيوني ثيودر هرتزل (1860-1904م) معظم أفكاره وشروحاته عن هذه القضية (20).

**رابعاً:-** صورت رحلة لورنس أوليفانت واقع المدينة المقدسة بدقّة من وجهة نظر توراتية صهيونية بريطانية. اندمج فيها الدين والسياسة، والفكر والمصالح، والتاريخ والجغرافية. معتبرة القدس جزءاً لا يتجزأ أو حجر أساس في المشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين (21).

**خامساً:-** تعدّ رحلة أرض جلعاد:- رحلات في لبنان وسورية والأردن وفلسطين سفراً واضحاً أودعه صاحبه تفاصيل دقيقة عن أفكاره وآرائه ومعتقداته ومشروعه الاستيطاني المتعلق بتوطين اليهود في فلسطين وشرق الأردن، بوصفه حلاً لتشتتهم التاريخي في أصقاع الأرض، ووضع حد لآلامهم ومعاناتهم الدائمة. كما ضمنه ملاحظاته ومشاهداته في مناطق:- لبنان، وسورية، والأردن، وفلسطينن في المجالات الجغرافية والتاريخية والسياسية والمذهبية والاقتصادية والاجتماعية والأثرية المختلفة (22).

طبع كتابه في عام 1880م، وترجمه ناحوم سوكولوف (لغوي، وصحفي، ومترجم، وشاعر يهودي، بولندي من زعماء الحركة الصهيونية، عاش في الفترة ما بين 1859-1936م)، إلى العبرية عام 1886، ووزع منه 12000 نسخة، وهو رقم كبير إذا ما قورن مع المنشورات العبرية الصادرة آنذاك (23).

4- هدف مشروع لورنس أوليفانت إلى إقامة وطن قومي لليهود في أنحاء فلسطين، وفي مقدمتها مدينة القدس. من خلال إنشاء شركة استثمارية مركزها اسطنبول. ذات رأسمال ضخم يمولها رجال الأعمال والساسة من مختلف أنحاء أوروبا، وبخاصة اليهود منهم (24).

دعا أوليفانت الحكومة التركية إلى تبني المشروع من أجل توطين اليهود في فلسطين أرض آبائهم وأجدادهم ليعيشوا في كنفها متساويين في الحقوق والواجبات، وموالين لجلالة السلطان العثماني ، ويتمتعون بحمايته، ويعملون على إنشاء مؤسسات زراعية واقصادية تحول وطنهم التاريخي الذي منحهم الله إياه، إلى قطعة فيها رخاء ونعم (25).

وطالب المشروع يهود العالم وقادتهم وحلفاءهم من رجال الساسة والحكم والمال في أوروبا. بدعم الحكومة التركية مالياً وإعلامياً ومعنوياً، من أجل إنهاء عزلتها، ومقاطعتها، ووضع حدٍّ للضغوط الأوروبية عليها، ومساعدتها بالاندماج في النظام العالمي السائد آنذاك، ومساعدتها في تحسين صورتها الإنسانية والديمقراطية أمام الغرب (26). وسيحافظ مشروع استيطان اليهود في فلسطين على تماسك الإمبراطورية العثمانية في آسيا، وسيزيد من نفوذ الباب العالي العثماني في فلسطين، ويؤسس فيها نظاماً يعتمد على قواعد الحرية والمساواة والعدالة (27). ومن المؤمل أن يفشل المشروع خطط روسيا للسيطرة على المنطقة، ويعزز قوة بريطانية فيها، وخاصة أن أوليفانت هو صاحب نظرية إحياء الدولة العثمانية لمواجهة الإمبراطوية الروسية (28).

واستقبل السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1293-1327هـ / 1876-1909م) لورنس أوليفانت، وأبدى دعمه وتشجيعه لمشروعه الهادف إلى توطين اليهود في فلسطين وشرق الأردن (29). وأيده أيضاً الصدر الأعظم خير الدين باشا (1878-1879م) (30). وقد تعرضت المواقف العثمانية المؤيدة للمشروع إلى هجوم حاد من أنصار الحكم المركزي في تركيا والمعارضين لانفتاحها على أوروبا، والرافضين لمشاريع إجراء انتخابات في مؤسساتها المختلفة، الأمر الذي جعل القيادة العثمانية تعود عن موافقتها ودعمها للمشروع (31). من جانب آخر حصل المشروع على دعم الأميرة البريطانية كريستيان (1846-1923م) أميرة بريطانيا العظمى وإيرلنده (32). ووليم جلادستون (1874-1880م) رئيس وزراء انجلترا (33). وودانجتون وزير الشؤون الخارجية الفرنسي (34). وعدد كبير من القناصل والدبلوماسيين الاوروبيين في تركيا (35).

وأبدى أوليفانت عدم تعارطفه مع عرب فلسطين بوصفهم مسؤولين عن افقارها، وقسمهم إلى بدو وفلاحيين، واقترح طرد البدو إلى خارجها. ووضع الفلاحين في معسكرات مثل معسكرات الهنود الحمر في كندا. ليكونوا مصدراً رخيصاً للعمالة تحت إشراف اليهود (36).

5- حصل الرحالة لورنس اوليفانت، على رسالة توصية من الحكومة الإنجليزية إلى السلطات التركية. من أجل تسهيل مهمته ورعايته، وتوفير الأمن والحماية له في المناطق التي سيزورها أثناء مراحل رحلته. الأمر الذي أضاف مظاهر من الفخامة والتميز على رحلته وفريقها الذي يتكون من أشخاص مميزين مستترين بثوب الرحالة، وقد اتضح ذلك الاهتمام في المناطق التي تواجدت فيها مؤسسات رسمية للحكومة التركية مثل:- دمشق، والجولان، ونابلس، وجنين (37) .

واحتاجت الرحلة في كثير من مساراتها خارج مراكز الحكومة التركية وسلطتها المباشرة إلى حراسه من القبائل البدوية المتواجدة في المنطقة، بهدف توفير الأمن والحماية وسبل النجاة لروادها. وأكد لورنس أوليفان احتكار القبائل البدوية لمهمة حماية ومرافقة الرحالة الأجانب في الطرق المتجهة من بيروت، السلط، أريحا إلى القدس (38). ووصف هذه المهمة بأنها شكل من أشكال الابتزاز والنهب والعربدة التي يدفعها الرحالة الأجانب مجبرين ، بهدف حمايتهم وإنجاح مهماتهم، وهي مبالغ تفاوتت بسبب تصنيف البدو لثراء القوافل أو السياح الذين يقعون تحت رحمتهم (39).

وانتقد الرحالة بحدّة هروب وخيانة دليل رحلته إلى القدس الياس داود من قرية جفنا، وقد هرب واختفى سارقاً مسدساً يمتلكه طاقم الرحلة. وكتب لورنس أوليفانت عن ذلك عبارات قاسية فقال "لقد كان ظاهرياً جديراً بالتصديق وكان وغداً هائلاً، إذا ما كان تحت حماية أجنبية أن يصبح شخصاً له شأن للتأثير في المنطقة (40).

ووصلت المبالغ النقدية التي دفعها لورنس اوليفانت إلى البدو، بهدف توفير الحماية لفريق رحلته من بيروت إلى القدس(17 جنيهاً إنجليزياً)، توزعت قيمتها على أجرة العناصر البدوية المسلحة، والدليل الذي يعرف بشكل دقيق جغرافية المكان والطرق والأمكنة التي ستقطعها الرحلة. وأجرة الخيام التي احتاجها الرحالة أثناء مسيرتهم، وأثمان علف خيل المجموعة المتجهة إلى القدس والمكونة من ثلاثة بغال، غرق أحدها في الشريعة على نهر الأردن (41). وعدّ المؤلف مجموع النقود التي دفعتها مجموعته إلى البدو خلال رحلتها إلى القدس زهيدة جداً، فقد اضطرت فرق أخرى متجهة إلى المكان نفسه إلى أن تدفع أكثر من (50 جنيهاً) انجليزياً، عدا البخشيش، والرسوم والنفقات اليومية عن كل عضو من أعضاء الرحالة الانجليز (42).

6- وصل لورنس أوليفانت مدينة القدس في نهاية شهر نيسان وبداية شهر أيار من عام 1880م. وشاهد وراقب عن كثب الاحتفالات التي أقامها أبناء الطائفتين المسيحية واليهودية في ذكرى عيد الفصح المجيد (43).

ويتذكر المسيحيون في هذا العيد ذكرى قيام رسولهم المسيح من الموت، بعد ثلاثة أيام من صلبه ودفنه. وينهون في أول أيامه صومهم الكبير الذي يستمر أربعين يوماً، وكذلك أسبوع آلامهم (44).

ويشعلون الشموع، ويرتلون الأناشيد والترانيم الخاصة، ويصلون الصلوات، ويوزعون الصدقات والهدايا، ويعدون الوجبات العائلية المشتركة ، ويزينون منازلهم، ويجهزون البيض المسلوق والملون، وأرنب الفصح، ويضعون قبراً فارغاً في كنائسهم (45).

ووصف الرحالة لورنس أوليفانت طقوس احتفالات المسيحيين بعيد الفصح المجيد في القدس، بالخزعبلات التي لا يقبلها عقل الإنسان وفطرته. كما عدّ شكل وصورة حشود الحجاج المتعصبين "الذين يسمون أنفسهم نصارى" حول قبر مؤسس دينهم دلالة على التخلف والهمجية، وأشاد بدور مجموعة من الجند المسلمين الذين ينظمون طقوس الحجاج المسيحيين في كنيسة القيامة بالقدس. وتوقع أن يحمل هؤلاء الجند مشاعر الاحتقار والتقزز في أعماقهم للحجاج المسيحيين الذين يمثلون أمامهم (46).

وطالب اتباع الديانة المسيحية في القدس اعتماد بعض الممارسات والطقوس العصرية "أفضل من الوثنية التي يمارسونها" (47) وانتقد بشكل لاذع الطوائف المسيحية المتصارعة، ودعاها إلى التسامح ونسيان أحقادها وخلافاتها المذهبية تجاه بعضهم البعض. وطالبهم في الوقت نفسه بوضع حدّ "لحقدهم على اليهود" (48).

وتأثر لورنس أوليفانت بهذه الآراء المتشددة تجاه طقوس واحتفالات المسيحيين بعيد الفصح المجيد، من اعتبار بعض القديسين المسيحيين الأوائل لها شعائر وثنية قديمة أُعطيت مظاهر مسيحية (49).

ويحتفل اليهود لمدة سبعة أيام أيضاً بعيد الفصح المجيد، احياءً لذكرى نشوء شعبهم، وتحريرهم من العبودية الفرعونية، وخروجهم من مصر. ويتوقفون في أول يوم وآخر يوم فيه عن العمل (50).

ويأكل اليهود في هذه المناسبة الفطير الخالي من الخميرة (الماتسا)، دلالة على حملهم العجين غير المختمر عندما خرجوا من مصر، هاربين ومسرعين نحو التيه (51).

وتبلغ ذروة احتفالاتهم بهذه المناسبة في ليلة (السيدر) أو (النظام أو المنهاج) فيقرأون قصة خروجهم من مصر، ويعدون الموائد المزينة بأصناف الطعام والشراب, وينشدون الترانيم (مانشتانا) التي تعبّر عن صبرهم وحريتهم. ويقيمون في الكنائس الصلوات الاحتفالية والابتهاجية، ويتلون مزامير المباركة والفرح والشكر لله (52).

ووصف لورنس أوليفانت طقوس عيد الفصح المجيد عند يهود القدس بالهدوء والنظام، بما يتناسب وطباعهم المشهورة "العزلة والسرية" (53). وأبدى ابتهاجه الرائع، وارتياحه الكبير بمشاركته اليهود عيدهم، من خلال استضافته من عائلة يهودية متواضعة تسكن الحيّ اليهودي في القدس، بهدف مشاركتها في إحياء طقوس ليلة (السيدر) التي تدل على حرية الشعب اليهودي وانطلاقه بعد خروجه من مصر الفرعونية (54).

وعاش الرحالة تفاصيل هذه المناسبة، واستمع إلى الصيحات الرقيقة الصادرة عن البيوت المحتفلة بالعيد، وأعجب بفتح اليهود أبواب منازلهم في منتصف ليل الاحتفال، دلالة على ذكر انتقالهم من عهد العبودية إلى عصر الحرية (55).

ويحتفل المسلمون سنوياً في القدس بخاصة، وفلسطين بعامة في فترة احتفالات الطوائف المسيحية واليهودية بعيد الفصح المجيد بموسم النبي موسى، وهو موسم ديني أوجده صلاح الدين الأيوبي (ت589هـ/1193م)، بعد تحريره القدس من الصليبيين، وقد تم عام (583 هـ/ 1187م)، لإظهار تماسك والتفاف المسلمين حول المدينة المقدسة واماكنها الدينية (56). وتشهد المدينة أثناء الاحتفال بهذا الموسم توافداً كبيراً للزوار الأجانب من مختلف أنحاء العالم، بهدف الحج أو السياحة (57).

ويقع موقع الضريح على الطريق التاريخي الواصل بين القدس وأريحا، ويبعد عن الأولى شرقاً 28كم، وعن الثانية جنوباً 8 كم. قام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (ت676هـ/ 1277م) بتشييد الضريح عام (668هـ/ 1269م) على الطراز المعماري المملوكي. ويتألف من طابقين وغرف وصالات وساحات وأقواس وخمسة أبواب، ويضم مسجداً، ومقبرة، وبئراً للمياه (58). ويقع ضريح النبي موسى الحقيقي حسب الرواية الدينية التوراتية على جبل نبو في منطقة مأدبا في الأردن (59). وهي مفارقة تشكل في تفاصيلها تطابقاً للنماذج والمواسم والمشاهد والمقامات التي استخدمها المماليك، لربط الرواية الدينية الاسلامية مهما اختلف زمانها ومكانها بأرض فلسطين، حرصاً على عروبتها واسلاميتها (60).

ويبدأ الاحتفال بانطلاق الوفود الرسمية والشعبية من مختلف أنحاء فلسطين باتجاه مدينة القدس وحرمها الشريف، رافعة الرايات والشعارات الإسلامية، يتقدمها العلماء والأئمة والقيادات الحزبية، والعائلية والاقتصادية، وعامة الناس من شيوخ وشباب وأطفال ونساء، باتجاه موقع الاحتفال أو الموسم (61).

زار لورنس أوليفانت أثناء سفره إلى القدس مقام النبي موسى. وشاهد الاحتفالات الكبرى التي شهدها المكان:- وفوداً رسمية وشعبية من مختلف مناطق فلسطين، دبكات شعبية، رقصات ذكورية يحمل روادها السيوف، والرماح، والتروس، وسباقات خيول، ومسيرات طبول، وولائم كبيرة، وأكشاك، ومطاعم، مقاهٍ (62).

ولقد لقيت زيارته إلى داخل الضريح احتجاجاً من الجماهير المشاركة بالاحتفال بسبب تدنيسه وفريق رحلته لأرض المكان المقدس (63).

وطوال مسيرته باتجاه القدس أبدى إعجابه بتنظيم مسيرة قوافل الحجاج المسلمين المتوجهين إلى الضريح، رجالاً ونساءً وأطفالاً يرتدون ملابسهم الشرقية الزاهية والملونة، يمتطون الخيول والبغال، ويركبون "الهوادج" يحرسهم غلمان طوال يسيرون تحت أشعة الشمس، وهم يرتدون اللباس الرسمي (64).

7- دخل لونس أوليفانت المدينة المقدسة، أو مستعمرة القدس كما أسماها (65) من باب أريحا (66). ووجدها طافحة بذاكرة الكتاب المقدس (67). وبحاجة إلى إصلاح أكثر من أي مدينة أخرى في الدولة العثمانية (68). ووصف قوة سلطة الحكومة التركية فيها بمنتهى "الضعف والحضيض" (69). مقابل قوة الهيمنة الأجنبية التي تتسم بـ "الأوج والقمة" (70).

ودعا إلى إعادة تنظيم مستعمرة القدس على أسس تجارية وليست دينية (71). ولم يتطرق إلى أعداد سكان المدينة في فترة زيارته إلى المدينة عام 1880م، وقد بلغت حسب الكزاندر شولش 31 ألف مواطن منهم 5 آلاف مسلم و 6 آلاف مسيحي، و 17 ألف يهودي (72).

وقد وصف سكانها النصارى بانهم شعب يتصف بالتشدد والتعصب الديني والمذهبي، وعدم التسامح والانصياع للنظام والانضباط (73).

وعد سكانها اليهود هادئين، منظمين، يقيمون في الحي اليهودي بالمدينة، بيوتهم متجاورة ومتلاصقة ونظيفة ومرتبة (74). وطالب بتحويل القدس إلى مستعمرة يهودية، وعدّ اليهود السفارديم (اليهود الشرقيين، يهود إسبانيا والمغرب وحوض البحر الأبيض المتوسط) بناتها الأوفياء والعمليين منتقداً اليهود الإشكنازيم (اليهود الغربيين من دول شرق أوروبا وروسيا) الذين تم توطينهم فيها مؤخراً بكثرة، وعدّهم متسولين لا فائدة منهم أبداً، وأصبحوا عبئاً على اتباع دينهم، ولن يستطيعوا المشاركة في أي مشروع استثماري اقتصادي، وبخاصة في مجال الزراعة والتجارة والمال (75). وعدّ المستوطنات في القدس مشروعاً واعداً من الناحية المالية والتجارية (76).

وزار المستعمرة الألمانية الواقعة خارج االقدس في وادي ريفايم Rephaim، والتقى مسؤولها اليهودي الألماني د. هوفمان Hofman. وعدّه مثالاً للانحراف الديني المبهم ومسؤولاً عن الخلافات الروحية في مستعمرته. (77). ووصف بيوتها المبنية من الحجارة "بالمتقنة" وجميلة يحيط بمنازلها حديقة متواضعة. ويعمل سكانها بأراضٍ زاخرةٍ بالزروع الجيدة. وأشار إلى أن مستوطنيها لا يواجهون أية صعوبات تذكر في حياتهم وتعاملهم مع الحكومة. ويدفعون سنوياً الضرائب المترتبة عليهم، بعد أن يتم تقدير محاصيلهم (78).

(1) جريس، صبري، تاريخ، ط1،ص27. نخلة، محمد، تطور، ص (18-19). أبو إصبيح، عمران، الهجرة، ص (14-15)، 21.

(2) حلاق، حسان، موقف،ص(42-45)، 88. جبارة، تيسير، تاريخ، ص55.

(3) الوعري، نائلة، دور، ص (77-79). قهوجي، نجيب، استرتيجية، ص (47-48).

(4) حلاق، حسان، موقف، ص77. أبو إصبيح، عمران، الهجرة، ص21.

(5) الوعري، نائلة، دور، ص 201، 218، (224-225)، 245. أبو إصبيح، عمران، الهجرة، ص 25،27.

(6) جريس، صبري، تاريخ، ص59. شولش، الكزندر، القدس، ص288.

(7) شولش، الكزاندر، القدس، ص (276-277)، 295.

(8) الوعري، نائلة، دور، ص39.

(9) الكزاندر، شولش، القدس، ص 275، 286.

(10) العسلي، كامل، القدس، ص257. أنظر أيضاً:- الدويكات، فؤاد، القدس، ص (309-310)، جرار، مروان، دوافع، ص10.

(11) العسلي، كامل القدس، ص257.

(12) شولش، الكزاندر، القدس، ص (281-282).

(13) أنظر للمقارنة دراسة:- الحجري، هلال، أدب، ص17، 40، 43.

(14) جريس، صبري، الصهيونية، ص84. شولش، الكزاندر، تحولات، ص88، الوعري، نائلة، دور، ص186.

(15) تقارير المتحف البريطاني - لندن الصادرة عن المنظمة اليهودية Jewish Colonization Association صورة التقرير حول المفاوضات التي جرت بين اللورد أوليفانت والعثمانيين ومحضر المفاوضات رقم T.o-2101216.

(16) شولش، الكزاندر، تحولات، ص 88.

(17) نافع تيسير، الامبريالية، ص65.

(18) المجد، موبايل، تبلور،ص3. http://almajd.ps/detaile.php?id=1100

(19) أوليفانت، لونس، أرض، ص (479-484) (485-486).

(20) المجد، موبايل، تبلور، ص3. http://almajd.ps/detaile.php?id=1100

(21) أوليفانت، لورنس، أرض، ص (305-319).

(22) اوليفانت، لورنس، أرض، ص(39-58)، (59-79)، (83-116)، (119-141)، (145-175)، (179-205)، (209-288)، 263-282). (285-302). 305-319). (323-334). (337-364)، (367-389)، (363-414)، (417-438)، (441-458)، (460-476)،

(23) المجد، موبايل، تبلور، ص3 http://almajd.ps/detaile.php?id=1100

(24) أوليفانت، لورنس، أرض، ص 20، 36، 314.

(25) أوليفانت، لورنس، أرض، 22،24، (32-33) 36، 475، (479-480)

(26) أوليفانت، لورنس، أرض، ص211، 331، 461.

(27) أوليفانت، لونس، أرض، ص474، 467.

(28) أوليفانت، لورنس، أرض، ص (470-471).

(29) اوليفانت، لونس، أرض، ص476.

(30) اوليفانت، لونس، أرض، ص7،462، 484.

(31) أوليفانت، لورنس، أرض، ص 11،463، 464، 465، (483-484).

(32) أوليفانت، لورنس، أرض، ص7، 35.

(33) أوليفانت، لورنس، أرض، ص34.

(34) اوليفانت، لورنس، أرض، 34.

(35) اوليفانت، لورنس، أرض، ص 35،484.

(36) اوليفانت، لورنس، أرض، ص

(37) أوليفانت، لورنس، أرض، ص41، 325.

(38) أوليفانت، لورنس، أرض، ص309.

(39) أوليفانت، لورنس، أرض، ص310.

(40) أوليفانت، لورنس، أرض، ص 312.

(41) اوليفانت، لورنس، أرض، ص 192، 310.

(42) أوليفانت، لورنس، أرض، ص 41، 192، (309-310) 311.

(43) أوليفانت، لورنس، أرض، ص 312.

(44) العسلي، كامل، مواسم، ص82. عبد الملك، بطرس، (محرر)، وآخرون، قاموس، جوف القاف، ص (27-29)

(45) العسلي، كامل، مواسم، ص 75، (82-84).

(46) اوليفانت، لورنس، أرض، ص 312.

(47) اوليفانت، لورنس، أرض، ص 312.

(48) أوليفانت، لورنس، ص 312.

(49) فريحة، أديب، دراسات، ص 117، العسلي، كامل، مواسم، ص 88.

(50) أحمد، محمود، الديانة، ص (197-198)، 202.

(51) موسوعة تاريخ أقباط مصر، عيد الفصح اليهودي- بيساح http://www.coptichistory.org t new-pape-1994.Dtm . ص (1-3).

(52) أوليفانت، لورنس، أرض، ص313.

(53) أوليفانت، لورنس، أرض، ص 313.

(54) أوليفانت، لورنس، أرض، ص313.

(55) أوليفانت، لورنس، أرض، ص313.

(56) العسلي، كامل، موسم، ص 86.

(57) شولش، الكزاندر، تحولات، ص 27.

(58) أوليفانت، لورنس، أرض، ص310.

(59) أوليفانت، لورنس، أرض، ص 310.

أنظر للمقارنة، العسلي، كامل، موسم، ص6، شولش، الكزاندر، تحولات، ص 26.

(60) العسلي، كامل، موسم، ص11، 85، 96.

(61) للاطلاع على التفاصيل الكاملة عن موسم النبي موسى، انظر:-

كنعان، موسى، موسم، ص (103-132)، وشولش، الكزاندر، تحولات، 27.

(62) اوليفانت، لورنس، أرض، ص 310.

(63) اوليفانت، لورنس، أرض، ص 311.

(64) اوليفانت، لورنس، أرض، ص 311.

(65) أوليفانت، لورنس، أرض، ص (313، 314).

(66) أوليفانتن لورنس، أرض، ص313.

(67) أوليفانت، لورنس، أرض، ص 217.

(68) أوليفانت، لورنس، أرض، ص313.

(69) أولبفانت، لورنس، أرض، ص 313.

(70) أوليفانت، لورنس، أرض، 313.

(71) اوليفانت، لورنس، أرض، ص 314.

(72) الكزاندر، شولش، ص 279. والمدني، زياد، القدس، ص 215.

(73) اوليفانت، لورنس، أرض ص 313.

(74) أوليفانت، لورنس، أرض، ص 313.

(75) اوليفانت، لورنس، أرض، ص 314.

(76) أوليفانت، لورنس، أرض، ص 315.

(77) أوليفانت، لورنس، أرض، ص314.

(78) أوليفانتن لورنس، أرض، ص 315.

**المصادر والمراجع**

**أولاً:-** **وثائق غير منشورة:-**

1- تقارير المتحف البريطاني - لندن الصادرة عن المنظمة اليهودية Jewish Colonization Association صورة التقرير حول المفاوضات التي جرت بين اللورد أوليفانت والعثمانيين ومحضر المفاوضات رقم T.o-2101216.

**ثانياً:** المصادر**:-**

2- أوليفانت، لورنس، أرض جلعاد:- رحلات في لبنان وسورية والأردن وفلسطين 1880م. ترجمة احمد عويدي العبادي، دار مجدلاوي للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط1، (1425هـ/ 2004م).

**ثالثاً**: **المراجع:-**

1- أحمد، خليفة، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1998م.

2- بركات، نظام، الاستيطان الاسرائيلي في فلسطين بين النظرية والتضييق، بيروت، 1988م.

3- جبارة، تيسير، تاريخ فلسطين، دار الشروق للطباعة والنشر، عمان، الأردن ط1، 1998م.

4- حلاق، حسان، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية 1897-1909م. دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

5- شولش، الكزندر، التحولات الجذرية في فلسطين (1856-1882م):- دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة، الاردنية، عمان، الاردن، ط2، (1414هـ/1993م).

6- أبو صبيح، عمران، الهجرة اليهودية حقائق وأرقام، دار الجليل للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط1، 1990م.

7- عبد الملك، بطرس، (محرر) وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، لبنان، ط1، 19م.

8- العسلي، كامل، مؤتمر النبي موسى في فلسطين:- تاريخ الموسم والمقام، منشورات الجامعة الاردنية، عمان، الاردن، ط1، 1990م.

9- فريحة ، أنيس، دراسات في التاريخ، دار النهار للطباعة والنشر، بيروت

10- قاسمية، خيرية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه 1908-1918م، مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان ط 1، 1973م.

11- قهوجي، نجيب، استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

12- كنعان، موسى، موسم النبي موسى، ضمن كتاب كامل العسلي، مؤتمر النبي موسى في فلسطين:- تاريخ الموسم والمقام، منشورات الجامعة الاردنية، عمان، الاردن، ط1 1990م.

13- المدني، زياد، القدس وجوارها خلال الفترة 1215هـ - 1245هـ/ 1800م - 1830م، منشورات بنك الاعمال، عمان، الاردن، ط1، 1996م.

14- نخلة، محمد، تطور المجتمع في فلسطين، منشورات ذات السلاسل، الكويت، الكويت ط 1، 1982م.

15- الوعري، نائلة، دور القنصليات الأجنبية في الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين 1914- 1820م، دار الشروق، عمان، الاردن، ط1، 2007م.

**رابعاً: كتب لأكثر من مؤلف**

16- شولش، الكزندر، فصل:- القدس في القرن التاسع عشر (1831-1917م) من كتاب:- القدس في التاريخ، تحرير كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، عمان الاردن، ط1، (1413هـ/ 1992م) ص (273-303).

17- العسلي، كامل، فصل:- القدس تحت حكم العثمانيين (1516-1831م). من كتاب:- القدس في التاريخ، تحرير، كامل، العسلي، منشورات الجامعة، الاردنية، عمان، الاردن، ط1، (1413هـ/ 1992م) ص (231-271).

**خامساً:** **الموسوعات**

18- جرار، مروان، دوافع رحلات الرحالة الغربيين الى مدينة القدس وصورتها في كتاباتهم، موسوعة التاريخ والتوثيق الفلسطيني، غزة، فلسطين، (ب.ع)، (ب.ط)، ب. ت).

19- الحجري، هلال، أدب الرحلات والاستشراق، البحث عن منهج، المجلة العربية للعلوم الانسانية، الكويت، الكويت العدد 102/26، ص(11-62).

20- الدويكات، فؤاد، القدس في كتب الرحلات الأوروبية، عصر الحروب الصليبية 492-583هـ/ 1099-1187م، مجلة جامعة القدس المفتوحة، رام الله، فلسطين، العدد 30، الجزء الأول، رجب (1434هـ/ حزيران 2013م) ص ( 295-326).

**سادساً:** **مواقع الكترونية:-**

21- المجد موبايل، البلور الفكر الصهيوني في الفكر والسياسة الغربية المجد، ص3 http://almajd.ps/detaile.php?id=1100

22- موسوعة تاريخ أقباط مصر، عيد الفصح اليهودي- بيساح http://www.coptichistory.org t new-pape-1994.Dtm . ص (1-3).